

السياق الاجتماعي لتطور الفكر الإسلامي في المجتمع العربي " الجزائر أنموذج "

## The social context for the development of Islamic thought in Arab society Algeria is a model"

"د. شالي خيرة،

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، [chalikhayra2022@gmail.com](mailto:chalikhayra2022@gmail.com)

تاريخ النشر:

تاريخ القبول: 2022.../06./..30

تاريخ الإرسال: 2022.../06.../08

2022.../11./..20

### الملخص:

تركز هذه الورقة البحثية على دراسة المشكلات التي تواجهها المجتمعات العربية، وخاصة ما تعلق منها بالتطورات السياسية وما ارتبط بالجماعات الإسلامية، التي شكلت أحد المحطات الأساسية في قيام معظم الصراعات الإيديولوجية، وقد أخذ هذا الشكل الأخير من الجماعات حيزاً مهماً في تزايد الإختلالات التركيبية لكافة المجتمعات العربية، فالهدف من البحث في مجال الفكر الإسلامي ما يرتبط بفهم الجوانب الاجتماعية المتصلة بالموضوع، وقيام الصراعات التي تعرقل العملية الاجتماعية، فالتعبئة الفكرية لدور الجماعات الإسلامية لها إسهاماتها في تطور هذا الفكر عبر زمن طويل من تاريخ الجزائر، والأصل في ذلك العودة إلى مجتمع إسلامي، تحكمه معايير دينية، وعليه تم انتهاز الوصف للظاهرة بتحليل وتفسير المعطيات والبيانات المتحصل عليها بأسلوب المقابلة مع الجماعات الإسلامية، وترتبط المسائلة الموجهة إليهم بفترة زمنية ماضية من عملهم وبعضها قبل إلتحاقهم بالحركة الإسلامية، تم الوصول إليهم عن طريق عينة كرة الثلج، فالنتائج الكيفي لهذه الدراسة يثبت وجود جذور تاريخية لها آثار اجتماعية لتطور الفكر الإسلامي في المجتمع الجزائري.

### الكلمات المفتاحية:

الإسلام السياسي، الجماعات الإسلامية، الفكر الإسلامي، الفكر المتطرف، الصراع الإيديولوجي.

### Abstract

This paper focuses on studying the problems faced by Arab communities in particular those related to political developments and those associated with Islamic groups; which has been one of the main stops in most ideological conflicts This last form of group has taken an important place in the growing synthetic imbalances of all Arab societies, The aim of research in the field of Islamic thought is to understand the collective aspects of the subject. and conflicts that impede the social process. The intellectual mobilization of the role of Islamic groups has contributed to the development of this thought throughout Algeria's history. religious norms ", originally a return to an Islamic society, governed by religious norms And so the description of the phenomenon was followed by analysing and interpreting the data and data obtained in an interview with Islamic groups, The issue addressed to them relates to a period of time before they work and some before joining the Islamic Movement. s development ", which was reached through a snowball sample, the qualitative output of this

study proves the existence of historical roots that have social implications for the development of Islamic thought in

Algerian society.

Keywords

.Political Islam, Islamic groups, Islamic thought, extremist thought, ideological conflict

#### مقدمة:

شكل موضوع تنامي الفكر الإسلامي خلال الأونة الأخيرة من عمر القرن الماضي، أهم المحطات التاريخية التي سجلتها المجتمعات العربية ضمن مشكلاتها الأساسية، و التي ساهمت و بشكل كبير في عرقلة نموها و تطورها على الصعيد الإقتصادي و الاجتماعي، إضافة إلى الاختلالات التي ميزت كافة الأنظمة في الوطن العربي على وجه عام و مجتمعنا الجزائري على وجه خاص.

و يتسائل الجميع عن الأسباب و العوامل التي جعلت من مجتمعاتنا العربية نقطة اسهام فعلي في الدراسات و الأبحاث السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية لدى معظم الباحثين سواء العرب ذواتهم، أو ما صدر من دراسات الغرب، في محاولات فهم ما يدور من صراعات ناتجة عن التسابق على السلطة، وقد اختلفت الآراء الواردة من نتائج البحوث في هذا المجال وذلك نظراً لتعدد الموضوع وتداخل الأسباب والعوامل، التي جعلت من تنامي الفكر الإسلامي على كافة المجتمعات العربية والجزائرية على حد سواء، منطلقات لتحديات مشتركة ذات مرجع سوسيو اقتصادي، الذي اعتبر أحد أهم الظواهر التي شهدتها المجتمع خلال النصف الأول من القرن العشرين، أبرزت وجودها من خلال التعبير الإيديولوجي، كنموذج لبناء الدولة والسعي نحو مستقبل إسلامي.

ومن بين أهم الحركات الإسلامية المعاصرة والتي برزت نفسها من خلال مشروعها في بناء الدولة تلك الحركة المصرية التي تحمل اسم " حركة الإخوان المسلمين " وهي حركة صنعت من مناهجها راسب تاريخي مقتبس من الحركات الإسلامية التاريخية، وتبرز أهمية هذه الحركات من خلال القوة على الحشد الكبير مقارنة بالحركات السياسية الأخرى، كونها أنظمة ذات بعد إصلاحي في جميع المجالات، وهذا ما جعلها في مواجهة مستمرة مع أنظمة السلطة مخلفة آثارا خوف نتيجة قدرتها على كسب أكبر عدد من المؤيدين لها، هذا الإستثمار ناتج عن فشل الإيديولوجيات الأخرى.

وتعد الجزائر من بين المجتمعات العربية التي عانت من عنف دام أكثر من عشرة سنوات كان نتيجة صراع دموي بين الحركات الإسلامية وأنظمة الدولة، أثر على منظومة القيم الاجتماعية، وخلف آثارا على كافة الأنساق الأخرى، ويمتد تاريخ هذه الحركات إلى تلك العملية في مواجهة الإستعمار الفرنسي، والممثلة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين بقيادة عبد الحميد بن باديس، إلا أن النهج المؤسس لها تغير بإستقلال الجزائر، وبتبنيها لإيديولوجية إشتراكية.

ومع تعرض الجزائر لأزمة إقتصادية نتيجة السياسات الفاشلة في منتصف الثمانينيات، فرضت على الجزائر إختيار البدائل بتبنيها لسياسة الإقتراض من البنك الدولي، وهذا ما زاد مغضلة على المجتمع الجزائري، كانت نتائجها واضحة في فترة التسعينيات.

إن الطرح السوسيولوجي لمعالجة طبيعة التحولات في مسار الحركات الإسلامية عبر مراحل تطورها التاريخية، يقتضي الوقوف على أهم المحطات المرتبطة بعملها المسلح، في مواجهة أنظمة السلطة وتأثير تلك المواجهة على الجانب الاجتماعي للمجتمعات العربية والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، وتم معالجة بعض المفاهيم المتصلة بالموضوع، وإشكالية التحولات في المجتمعات العربية نحو إسلام سياسي، وأهم العوامل الاجتماعية والإقتصادية على المستوى العربي والجزائري.

- والإشكال المطروح يستوجب طرح فرضيات الدراسة، كإجابات مؤقتة لتفسير النتائج الذي يتوصل إليها البحث:
1. هناك علاقة بين تنامي الفكر الإسلامي وتدهور الأوضاع الاجتماعية في المجتمع الجزائري.
  2. للأزمة الاقتصادية تأثير على تنامي الفكر الإسلامي في المجتمع الجزائري.

#### الدراسات السابقة:

دراسة عبد الحكيم أبو اللوز بعنوان " الحركات الإسلامية في المغرب بحث أنثروبولوجي سوسولوجي " حيث إنطلقت هذه الدراسة من الإشكال القائم على إمكانية ترجمة الحركات السلفية على أنها جزء في الحركة التي يعرفها حقل التدين في المغرب؟

وتفترض الدراسة أن الظرفية الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي صاحبت ظهور هذه الطوائف وانتشارها، قد ساهمت، إلى حد بعيد، في تحديد أنماط تنظيم هذه الحركات وأساليب اشتغالها، ونوعية خطابها، وطرقها في التعبئة.

أما من حيث أساليب العمل، فيفترض البحث أن الحركات السلفية وجدت إبان ظهورها، ظروف ممتازة للعمل والنشاط، فتزامنها مع قيام حركات الإسلام السياسي ذات الخطاب المعارض، والطاعن وشرعية النظام السياسي، والمطالب باحترام المشروعية الإسلامية، جعل منها حليفاً ممتازاً للدولة ضداً على خاصية الإنعزال والتفوق التي تتسم بها الطوائف من الناحية المبدئية.

ويتطلب استعراض المنهج البحثي العناية بنقطتين أساسيتين، وهما: المحاور البحثية التي تمت الإحالة إليها لمقاربة الموضوع، واستخدام خمسة أساليب لجمع مادة البحث، منها ما يناسب الوثائق الإلكترونية، والشهادات الشفوية، ومنها ما يلائم عملية فحص المعطيات الميدانية، وتمثل أدوات البحث في تحليل المحتوى، المعاينة الميدانية، المقابلة، المجموعات البؤرية، الخرائط المرفولوجية، الرسوم البيانية.

تبين أن الحركات السلفية المدروسة هي نوع من الحركات الاجتماعية الدينية التي تتبنى خطاباً وعضياً تسعى من خلاله إلى تغيير القيم وتجديد الأخلاق، لكن أنماط عملها يبين حقيقة أخرى، فإلى جانب الدوافع المثالية التي تحرك هذه الحركات، فإن ثمة مصالح نفعية دينوية تعتبر الأساس المفسر لقدرتها على التعبئة الاجتماعية، ومما لوحظ على الحركات السلفية أيضاً مرورها بمرحلتين مهمتين في سياق تطورها، فقد كانت المبادرات التنظيمية في البداية لا مركزية وغير منسقة، وتطبعها التلقائية، حيث لم تكن تتميز إلا بشيء قليل من التنظيم، وانعدام الوضوح في الأدوار والأهداف، وفي مرحلة ثانية، بدأت مرحلة العمل المنظم والبناء الاجتماعي الذي تحددت فيه الأدوار وتبلورت الأهداف في إطار إيديولوجية متكاملة.

دراسة الطاهر سعود بعنوان " الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية " حيث تمحورت إشكالية الدراسة حول جملة من التساؤلات التي تتمثل في البحث عن الظروف التاريخية للحركة الإسلامية، وميلادها على أساس ردة فعل واقع سياسي اجتماعي ثقافي، أم إستئناف لجهود سابقة في التاريخ الجزائري، أو قد تكون تعكس نظيرتها المشرقية؟ إضافة إلى البحث عن المراحل وبداية تنظيمها والخلفيات الإيديولوجية لمؤسسيها، وأصولهم الثقافية، وطبيعتها تكوينهم وآليات وطرق عملهم وتحركاتهم، والاختلافات الفكرية والإيديولوجية بينهم؟

إعتمد الباحث في بناء مباحث دراسته على مصدرين مهمين للحصول على المادة العلمية والتوثيقية، يتمثل المصدر الأول في المنتج الفكري لرواد الحركة الإسلامية الجزائرية، والدراسات والبحوث السياسية والتاريخية والسوسولوجية لموضوع الحركة الإسلامية، إضافة إلى التقارير العلمية والأمنية، أما المصدر الثاني فهو مصدر بشري (المقابلة والمحوارة)

استخلص الباحث من خلال البحث أن هناك محاولات على مستوى الحركة الإسلامية لتنظيم ومعالجة بعض المسائل التي كانت مطروحة.

#### أولاً: تحديد المفاهيم:

أ. الإسلام السياسي:

إن كلمة " إسلام سياسي " هي الترجمة العربية لكلمة " islamisme " الشائعة في الكتابات الفرنسية، و هي – مثلما يبرز ذلك مارتن كرامر – إشتقاق و نحت لغوي فرنسي ظهر لأول مرة في اللغة الفرنسية، ولكنه يكن يحيل إلى معنى الاستخدام الأديولوجي للإسلام مثلما هو علي الحال اليوم، فالمفهوم لم يبرز حينها بهذا المعنى إلى الوجود، و أول من استخدمه هو الفيلسوف الفرنسي فولتير، كمرادف يشير للدين الإسلامي، الذي كان يعرف في الفرنسية آنذاك بالديانة المحمدية، و هكذا أصبحت كلمة " islamisme " تعرف بهذا المعنى مثلما ورد ذلك في قاموس القرن التاسع عشر للغة الفرنسية، و في غضون القرن نفسه حظيت الكلمة باستخدام واسع عبر كامل الفضاء الأوروبي. (1)

يرصد المؤلف جبل كيبيل في كتابه: جهاد ... إنتشار الإسلام السياسي، المترجم من طرف نبيل سعد: أن إنتشار تيار الإسلام السياسي في عقد الثمانينات، كانت الصيغة الملتبسة لرسالة هذا التيار، هي التي جمعت بين الرأسمالي الملثحي و ساكن الأحياء العشوائية، غير أن التناقضات كانت قد بدأت في التسرب بين مرجعية دينية ترجى الحساب إلى العالم الآخر، و بين دعوات إعادة بناء مجتمع العدل الذي ساد في الأيام الأولى للإسلام، في الدولة التي وضع أسسها الرسول صلى الله عليه و سلم. بالمدينة.

و فيما تزداد جاذبية هذه الدعوات، تتسع المسافة بينها و بين أنظمة سياسية إستهلكها الفساد مبكراً، و أنهكها الإفلاس الإقتصادي و الأخلاقي، و الإستبداد، و خلق الحريات العامة لتبدأ معالم الصدام واضحة في التكوين. (2)

إن الإسلاموية ( الإسلام السياسي ) ... هي تعبير يعكس جيداً تلك الحركات السياسية الساعية، مستندة إلى الأصول الإسلامية، و متوسلة بالآليات الحديثة للدعاية و التعبئة بين الجماهير، لإصلاح الدول و المجتمع. فهذه الحركات تمتاز بأن لديها جداول أعمالها السياسية التي تتجاوز الأهداف الدينية المجردة، كما أن قيادتها لا تخضع عادة لرجال الدين التقليديين، بل بالعكس فهي تتحدى نظرتهم و مسلكياتهم إزاء الواقع الإجتماعي. (3)

#### ب. الجماعات الإسلامية:

لما كان من طبيعة الإسلام و منهجه أنه شامل لمناهج الحياة كلها اقتضى أن تكون هناك جماعة، السنة هي منهجها في العقيدة، و العبادة و المبادئ و الحقوق و المعاملات و الدعوة و الأخلاق، و السياسة و الإقتصاد، و الدولة و السلم و الحرب، تنظم مفاهيم الفرد و فكره و تتابع تنفيذ ضوابط العمل فيها، و تصحح الأخطاء التي لا بد من وقوعها في كل عمل.

و لا شك أن الجهاد من أعظم الأصول العملية للسنة، به تقمع الفتنة و يرهب أعداء الإسلام و تزول الحواجز من طريق الدعاة إلى الله و هو لا يقوم إلا بالجماعة، وبيان ذلك أن الجهاد و غيره من الواجبات و الولايات الدينية لا تتحقق كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (الإ بالقامة و الإمارة) و لا شك أن القوة إنما تكمن في الإجتماع لقوله تعالى ( ولا تنازعا فتفتشوا و تذهب ربحكم ). (4)

#### ج. الفكر الإسلامي المتطرف:

هو عدم الوعي و الفهم الصحيح أو الخاطئ لمبادئ و تعاليم الدين الحنيف، و تفسير المبادئ الدينية تفسيراً خاطئاً، اي ما نطلق عليه الأمية الدينية، و يفرض اراءه بالقوة، و يتهم كل من يخالفه بالكفر، و اسلوب مغلق في التفكير. (5)

"و التطرف ينشأ من التناقض في المصالح و القيم بين أطراف تكون على و عي و إدراك لما يصدر منها، مع رغبة كل طرف في التصادم مع رغبات الأخرين، مما يؤدي إلى استعمال العنف، و قد اقترن التطرف الديني بالعنف الدموي، و ما يترتب عليه من تفكك و خلاف و شقاق تكون نهايته الهلاك و الخطر، مهما تخفى وراء الألقعة الوطنية أو الدينية." (6)

و على المستوى التنظيمي يُرجع المؤرخون التطرف الديني في العصر الإسلامي إلى حركة الخوارج التي مارست إرهاباً منظماً، و تاريخ الخوارج حتى أواخر العصر الأموي يساير مبادئهم الإعتقادية في التطرف و الثورة الصاعدة، فقد ثاروا على علي بن أبي طالب مراراً و قضاوا مضجعه بإغارتهم المستمرة على البصرة و الكوفة فضلاً عن ثوراتهم الدائبة في الولايات الشرقية، كقُراً عليا و معاوية و الحكمين أبا موسى الأشعري و عمر بن العاص في معركة صفين.

أدت أحداث الفتنة الكبرى إلى اختلالات في النظام السياسي للدولة الإسلامية الحديثة و طعن في المقدسات الدينية و أحباط نفسي جماعي، أثر بقوة في المخيلات الإجتماعية الإسلامية، حتى أحست فئات المجتمع بالوهن و التفرق، و انبثقت فرقتان عظيمتان تقاسمتا عواطف المسلمين و ميولاتهم و هما الشيعة و الخوارج، و انتشروا في البلاد العربية و الإسلامية، حيث ساهما في نشأة عدة دول. (7)

#### ثانياً: إشكالية تحويل المجتمع العربي إلى دولة إسلامية:

هناك حيوية إيدولوجية وثقافية واجتماعية معقدة جعلت تدريجياً، من الطابع الفكري الإسلامي أحد المحددات الرئيسية لكل مجالات الحياة في المجتمع، في الواقع، وعلى مدى هذه الفترة التاريخية التي تنوف الآن على عقدين من الزمن، كان هناك حركة لأسلمة المجتمع زرعت في الذهنيات الفردية الجماعية أشكاليات إسلامية مختلفة – بما في ذلك بعض أشكالها " السلفية " – وكأنها يجب أن تشكل الخيارات الفردية والجماعية الوحيدة الممكنة من بين كل الخيارات الأخرى، والحال كذلك سوف يتم التركيز على الدور الذي تلعبه أربعة مجموعات كبيرة من العوامل المؤسسة التي ستتلاقى مناهجها العملية وخطاباتها السائدة خالفة بذلك شروط هيمنة ثقافية ذات طبيعة إسلامية داخل المجتمع، النظام التربوي، شبكة المساجد، وسائل الإعلام الوطنية العامة، وقنوات التلفزة الفضائية العربية. (8)

الحاكم بغير ما أنزل الله و الأحكام التي تعلوا المسلمين اليوم هي أحكام الكفر بل هي قوانين وضعها كفار و سيروا عليها المسلمين، و يقول سبحانه و تعالى في سورة المائدة " و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، فيعد ذهاب الخلافة نهائياً عام 1924م و اقتلاع احكام الإسلام كلها و استبدالها باحكام وضعها كفار.. أصبحت حالتهم في نفس حالة التتار كما ثبت في تفسير ابن كثير لقوله سبحانه و تعالى في سورة المائدة " افحكم الجاهلية يبغون من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون" قال ابن كثير: ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله، الحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر عدل إلى ما سواه من الأراء و الأهواء و الإصطلاحات التي وصفها رجال بلد مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهالات مما يصنعونها بأرائهم و أهوائهم و كما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم. (9)

#### أ. إصلاح المجتمع العربي:

بدأت الفكرة الأولى التي تحمل معنى الإسلام في إصلاح المجتمع، إذا كانت الإشارة إلى ابن تيمية قد أصبحت مما لا يمكن تفاديه في عموم الخطاب الإسلامي المعاصر، فإن مكانته وسط المرجعيات التي تحيل إلى السلفيون تعد إستثنائية، فقد كان ابن تيمية بالنسبة إلى هؤلاء الرمز الذي أعاد تأسيس الثقافة الإسلامية... لقد تأثر ابن تيمية في بلورته للإتجاه السني الخالص بمعطيات إجتماعية و تاريخية، و ذلك أن حركة المجتمع الإسلامي لم تتطور في عهده، في اتجاه حركة مدنية ذات درجة عالية من التحضر، بل كانت مدنية محاربة قليلة للتحضر، و هي حركة ناشطة في الصحراء، و ليس في مناطق العمران و المراكز التجارية. (10)

في قلب الرؤية العالمية للإحياء هناك إعتقاد بأن العالم الإسلامي يعيش في حالة من الإضمحلال. و سبب هذا الإضمحلال هو البعد عن الطريق المستقيم للإسلام، والدواء هو العودة إلى الإسلام في الحياة الشخصية و في الحياة العامة التي سوف تكفل إعادة الهوية و القيم و القوة الإسلامية، و بالنسبة للنشطاء السياسيين الإسلاميين فإن الإسلام هو طريق كلي شامل للحياة كما فصله القرآن وحي الله و يتمثل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم وطبيعة دولة الجماعة الأولى، و يتجسد في الطبيعة الشاملة للشريعة، و من ثم فإن إعادة الحيوية للحكومات و المجتمعات الإسلامية تستدعي إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية التي هي الأساس في بناء دولة و مجتمع يهديه الإسلام و يقوم على العدالة الاجتماعية. (11)

#### ب. تأثير الفكر الإسلامي على التحولات المجتمعية:

لقد انتشرت نزعات الكفر في مجتمعات المسلمين، و سرت تمور في جسد الأمة كالمسم الزعاف لدرجة فاقت جاهلية ما قبل الإسلام، عندئذ رجعنا إلى أفكار الشهيد سيد قطب، و هو الذي طرق باب أزمة العقيدة في كتابه: ( في ظلال القرآن) حيث دق ناقوس الخطر محذراً من جاهلية القرن العشرين.

و هنا نرى في عالمنا - عالم الكفر البين - كيف أن الزنا بات يمارس على قارعة الطريق، وكيف انتشرت بيوت الدعارة و دور الخلاعة، و كيف أصبح الشباب يدورون في معترك الضياع يمزقهم الكفر، أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم. (12)

يرى الشيخ يوسف القرضاوي: أن الشريعة الإسلامية تعم حياة المسلم " الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية من أدب الإستنتاج إلى إمامة الحكم، وعلاقات السلم والحرب " هذا ما كان عليه الأمر قبل مجيئ الإستعمار، أما بعده فقد جاءت القوانين الوضعية لإلغاء الشريعة، لذا يلزم العودة إلى الوضع الأصيل والطبيعي للمجتمعات الإسلامية، أي الوصل مرة أخرى بين أمور الشريعة وأمور السياسة، يحاول علل الفاسي أن ينقب عن هذا المرادف لمفهوم المواطنة الحديث في القاموس الإسلامي، فيجده في مفهوم التكليف، فالإسلام يعتبر كل فرد مكلفاً، أي مدعوا إلى القيام بواجباته نحو الله ونحو المجتمع ونحو نفسه ونحو الإنسانية جمعاء، والحقوق التي يتحصلها إنما هي تتحصل من خلال النهوض بالواجبات تلك، وعليه فإن التكليف في العرف الإسلامي يقوم مقام المواطنة في العرف الديمقراطي الحديث. (13)

**ثالثاً: معوقات التنمية في الوطن العربي:**

#### أ. الإعتدالية العربية المشتركة على السلاح الواحد:

كان من أهم نتائج حرب أكتوبر تشرين من عام 1973 ارتفاع أسعار النفط بشكل ملحوظ خلال عامي 1974، 1979، ويرى الكثير من الإقتصاديين أن ارتفاع أسعار النفط تسبب في إنتقال رؤوس الأموال بصورة مفاجئة وبحجم كبير إلى الدول المصدرة للنفط، مما خلق موجة من الإنكماش ثم التضخم في إقتصاديات الدول المستوردة، وبالتالي دفع هذه الدول الأخيرة إلى إتباع سياسات نقدية ومالية متقلبة، وبهذا الصدد، يرى بعض الإقتصاديين أن إنخفاض أسعار النفط في النصف الثاني من الثمانينيات كان له أثر سلبي على بعض الدول النامية المدينة. (14)

إن سلاح النفط الذي أستخدم لمرة واحدة بشكل محدود في حرب أكتوبر الوطنية، أضحى سلاحاً مضاداً، بل لعله دخل الحرب بهدف إستثمارها، لقد بدأت الثورة النفطية من أبواب الحرب الوطنية. و هي مفارقة مأساوية نادرة الحدوث في التاريخ، لأن هذا النفط نفسه هو الذي سيجند و أرادته في خدمة الحروب الطائفية، الفكرية و السياسية والميدانية، كانت الحالة القطرية قد استنفدت أغراضها التاريخية، و كان البديل هو الإنضمام إلى نظام الشرق الأوسط ككيانات طائفية و دويلات مذهبية و عنصرية. سقطت " الوحدة الانفصالية" أي تلك الوحدة التي اشتملت على جرثومة سقوطها بتغييب الديمقراطية الإجتماعية و السياسية عن بنائها، و لكن الوحدة الانفصالية بقيت كمفهوم أوتوقراطي في مختلف تجارب العرب المعاصرين ضمن البنية الأساسية لنظام الشرق الأوسط. (15)

#### ب. إشكالية التخلص من آثار الحروب الغربية:

بالإشارة إلى القرن الماضي تعاقبت على حمل مشعل إشعال الحروب، وتأجيج زخيم جمر المعارك، الأفكار القومية مع النازيين في ألمانيا، الفاشيين في إيطاليا وإسبانيا، وفي الوقت نفسه كان اليساريون باسم البرلتيارياء، يضرمون في هشيم الشعوب نيران الصراع الطبقي في آسيا، وأمريكا اللاتينية، وإفريقيا... إلا أن وصول مجموعة من اليهود إلى فلسطين حيث كونت عصابات الهجانا 1920، وغيرها... وفي حروب التحرير في العالم العربي، كان الروح الإسلامي والنفس القومي، محفزين للمقاومة التي يسميها المستعمرون " إرهاباً " وفي الوقت نفسه كان الغزو السوفيتي الروسي في أفغانستان، يطلق شرارة حرب دينية، كان للمسلمين السنة على مختلف أطيافهم، الدور الأكبر والنصيب الأوفر فيها، (16)

وأمام ضربات الإستعمار المزلزة في مصر والهند والجزائر، وأمام تهوي السلطان الخلافة العثمانية، ثارت ثائرة جمال الدين الأفغاني، فراح يجوب الأقطار الإسلامية داعياً وناصحاً ومقترحاً لمشاريع سياسية تفضي في نهاية المطاف إلى تجاوز الإستبداد القائم، من أجل إفساح المجال أمام تأسيس ما سماه ب "الجامعة الإسلامية" فنقد الإستبداد هو المهمة الأنية التي تستدعي الكشف عن التداخل الحاصل بين السلطتين الدينية والدنيوية، وبيان ما إذا كان الأمراء والحلفاء يحكمون باسم " الحق الإلهي " أم يحكمون باسم الشعب أو الأمة. (17)

و من هنا أصبحت مسابرة قيم و عادات و سلوك الأوروبيين مقياساً للتقدم و الإنجاز و تحقيق الذاتية و الإنسانية ومن ثم لنيل السعادة، و على قدر رسوخ هذا الإعتقاد، و التخلي الملزم له عن قيم الثقافات الأخرى لدى هذه الجماعات، و محدودية الإمكانيات العملية لتحقيق ما يتبع له من إقتداءً بأنماط حياة و استهلاك غنية و مكلفة، جاء أيضاً الإحباط و الشعور

العميق بالبؤس و الحرمان في مجتمعات العالم الثالث عموماً، ومن هذا الشعور والقلق الممزق الذي يبعثه، بدأت تنمو حركات الردة ضد إغراءات الأنماط الغربية، و العودة إلى الذات و استعادة الهوية و الذاتية. (18)

**ج. الأوضاع الاقتصادية و تناقض الأزمات الإجتماعية:**

كان الإنفتاح الاقتصادي هو العلاقة الأولى أي أنه بدلا من القطع البنيوي مع الإحتكارات الأجنبية، أصبح الإندماج في الدورة الرأسمالية العالمية من موقع التخلف و الفقر و الضعف هو نظام الحكم الجديد الذي استوجب تغيير إجتماعي واسعاً لمصلحة الإثراء الطفيلي و النمط الإستهلاكي و الإعتماد على التجارة الربوية بأشكالها المختلفة من إستيراد و تصدير و تهريب و رشوة و اختلاس و تجارة في العملة و انتشار وبائي للمخدرات، و هي الأمور التي استتبعت نظاماً جديداً للقيم بمقتضاه زادت معدلات الجريمة و ولدت أنواع جديدة منها، و في ظل الأزمة الاقتصادية الصاخبة التي لا يبدوا لها في الأفق حلاً. و في ظل الإستفزاز الإجتماعي الصارخ من جانب الشرائح المستفيدة، كان الإتجاه المتزايد نحو التعصب الديني ثم الإسلام السياسي أمراً طبيعياً. (19)

إن عملية التنمية تحتاج إلى تراكم لرأس المال يتزايد باستمرار حين يجب أن يتم إستخدام كامل مدخرات الأفراد و المجتمع عن طريق خلق فرص كافية للإستثمار – قد تكون الدول العربية الغنية بالنفط لا تعاني من هذا النوع من الصعوبات، إلا أن بقية الدول العربية تواجه هذه المشكلة، التي تتفاوت حدتها من دولة لأخرى، والسبب الأساسي في ذلك أن غالبية المجتمع في الدول العربية على حالة من الفقر لا تسمح لهم بمجرد التفكير في الإيدار الذي يعتبر من أهم ركائز التنمية الاقتصادية، وإن إرتفاع نسبة التراكم في الدخل القومي لا تؤدي حتماً إلى حل مشكلة تمويل الإستثمارات الضرورية، ونعني بالإستثمار دائماً، ما يُضاف إلى رصيد المجتمع من رأس مال، مثل تشييد مباني سكنية جديدة، مصانع جديدة، آلات جديدة، فضلاً عن أية إضافة إلى المخزون من الموارد الأولية والسلع تامة الصنع أو نصف المصنوعة. (20)

#### رابعاً: المجتمع الجزائري " أنموذج الصراع "

##### أ. أساس الخلاف على السلطة:

لكل أزمة في العالم تعقيداتها، و أزمة الجزائر بل الأصح مأساتها، لا تنشذ عن هذه القاعدة، و على رغم ما قد تبدو عليه الأزمة في ظاهرها، من بساطة بالغة، إلا أن أحداً لن يختلف على شدة تعقيدها إذ تعمق في أسبابها.

يقال أنها أزمة بين حكم ديكتاتوري يرفض التنازل عن السلطة، و بين جماعات مسلحة مصممة على إطاحته و إقامة دولة إسلامية في مكانه.

و قد يقال أيضاً أنها أزمة بين حكم يرفض التخلي عن مسؤوليته لأن ذلك سيعني وصول حزب لا يؤمن بالديمقراطية و لا التعددية إلى سدة السلطة، مع ما يحمله ذلك من مخاطر على الدولة بأسرها إذا ما قام هذا الحزب بإلغاء الوسيطتين اللتين أوصلته إلى الحكم. (21)

ولا يفوتنا هنا أن نعرف بالحركة الإسلامية الجزائرية، التي أسسها مصطفى بويعللي هذه الحركة التي نقلت الصراع مع السلطة من حرب البيانات إلى العنف المسلح، وذلك يوم 1982/12/11، عندما فتح أحد أعضائها النار على نقطة مراقبة، مما أدى إلى تكتيف الحملة البوليسية ضدها وكشف النقاب عن حركة مسلحة يتزعمها أحد المجاهدين القدماء، الأمر الذي دفع السلطة إلى تغيير موقفها بشكل حاد، وظهر هذا في المواجهة المفتوحة والعلانية ابتداء من 1985/04/29، تاريخ الإعلان عن حركة بويعللي كمنظمة مسلحة تحت قيادة العسكرية وزعامة الإمام " عبد القادر شبوطي". (22)

##### ب. أهم العوامل المساعدة على تبني الصراع

##### 1. العوامل الاقتصادية:

بشكل عام إذا ما استندنا إلى تصريحات الكثير من المتظاهرين و المواطنين بل وحتى أعضاء لجنة التحقيق البرلمانية، فإن العوامل التي ساهمت في اندلاع هذه الإحتجاجات هي بمجملها مرتبطة أو بأخرى، بإرتفاع أسعار مختلف السلع الضرورية، أشار تقرير لجنة التحقيق البرلمانية إلى العديد من مكامن الخلل في سوق المواد الإستهلاكية الرئيسية، بما فيها تلك المرتبطة بدعم المواد الضرورية، كما عرض التقرير للآثار المباشرة وغير المباشرة لعمل السوق السوداء محالات التلاعب بالسوق، وحسب مصادر عديدة فإن الفاعلين الاجتماعيين المسيطرين على السوق السوداء الحاضرة على نحو

متزايد في النشاط الحقيقي للإقتصاد الوطني، قد ساهموا مع غيرهم مباشرة في اندلاع هذه الإضطرابات. (23). لا شك أن افقر والجوع والشفاء والبؤس الناجم عن الفوارق الإقتصادية الشاسعة بين الدول نتيجة لجور النظام الإقتصادي القائم، هو ما يدفع أفراد وجماعات من الدول الفقيرة إلى اللجوء إلى القوة والعنف لضرب مصالح مستغليها وناهبي خيراتها أو للتعبير عن مشاعر آلية ناجمة عن هذا الوضع القاسي الجائر، أما فيما يخص الجانب الإقتصادي الذي سجل تدهورا هو الآخر منذ بداية التسعينات، بفعل غياب الإستثمارات الضرورية لتجديد التجهيزات والمعدات وصيانتها، إضافة إلى تفاقم الديون الخارجية وأخطر ما فيها أن القروض القصيرة المدى تشكل الجزء الأكبر فيها، وي طرح ذلك طبعا مشكلة خدمة الديون التي أصبحت تمتص جزءاً كبيراً من العائدات النفطية. (24)

كانت قضية من القضايا التي دخلت دائرة الصراع بقوة في عهد بوضياف، أسئلة يثيرها الشعب الجزائري حول المبالغ التي دخلت البلاد نتيجة لتصدير النفط خاصة وأن الأداء الإقتصادي كان سيئا بدليل الأوضاع الإقتصادية التي تعيشها الجزائر اليوم، أضف إلى ذلك أن كثيرا من المحللين الجزائريين قد أشاروا إلى الثراء الكبير الذي أصابه عدد من المسؤولين في الحكومات السابقة، في ظل تدهور الأوضاع الإقتصادية في الجزائر، الأمر الذي جعل قضية الفساد والإثراء غير المشروع قضية سياسية تلعب دوراً في تركيب التحالفات داخل السلطة من جانب، وتحل موقفا متقدما في أولويات بوضياف بنفائه الثوري من جانب آخر. (25)

## 2. العوامل الإجتماعية:

يغزو بعض المحللين ظهور العنف الإسلاموي إلى تزايد البطالة، و تهيمش و استبعاد شرائح كاملة من المجتمع، خصوصا منذ عام 1986م، تاريخ الإنهيار الشديد لأسعار المحروقات. لكن البطالة و الإستبعاد الإجتماعي و الهشاشة و التهميش الإجتماعي ليست أقل في تونس و المغرب و في مصر و كثير من البلدان الإسلامية، مع ذلك، لم تنغمس هذه البلدان في المأساة التي شهدتها الجزائر. (26)

لا بد من تأكيد أهمية الجانب الاجتماعي – الثقافي للأزمة التي ترتبط في جزء كبير منها بعجز المجتمع عن تحقيق الانتقال من وضعية تقليدية متميزة بسيطرة بنية اجتماعية قائمة على روابط الدم والعرق والانتماء إلى مجموعات تضامنية محدودة في الزمان والمكان، تحدد هويتها مثل الدين واللغة، في عزلة عن التفاعل مع المحيط ومواجهة التحديات والضغوط التي يفرضها وسط ثقافي متنوع ومتجدد في بنائه وتعبيره ودلالاته القيمية والمعارية، ذلك أن المجتمع العصري يقوم على التنوع والتعدد المستند إلى خاصيات، مهنية، مهارية وعقائدية مرتبطة بدور الأفراد والمجموعات ومكانتهم في البناء الاقتصادي... وفي الوقت ذاته إخضاعها لقواعد تحضا باتفاق نسبي من أجل تنظيم المنافسة السليمة بين الفئات والشرائح، بعد أن يكون دورها ومكانتها قد تحددت في إطار النسق العام الذي يحدد كذلك أساليب الارتقاء والحراك الاجتماعي، وطرق التداول على السلطة ودوران النخب، وأسس توزيع القوة في المجتمع، إضافة إلى تأسيس الصراع (27).

## ج. الجماعات الإسلامية و أساس العنف في المجتمع الجزائري:

عرفت المرحلة التي أعقبت الحرب الباردة سقوط البديل الإشتراكي في العديد من الدول وعلى رأسها دول العالم الثالث، تاركنا المجال لسيطرة النموذج الليبرالي الغربي، وتعتبر الجزائر إحدى هذه الدول التي شهدت التحولات، إذ عرفت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات تحولات سريعة نحو الديمقراطية التي كانت بمثابة الغطاء أو المظهر العام الذي خلق موجة من العنف والعنف المضاد داخل الجزائر، وحسب ما يؤكد أصحاب المقترَب الإقتصادي في تفسير العنف في الجزائر بأن طبيعة الإقتصاد الجزائري الذي يعتمد على النفط قد أثرت كذلك على حالة اللااستقرار في الجزائر، إذ تخضع مثل هذه الدول إلى المعادلة التالية: كلما زاد سعر النفط كلما ساد الإستقرار والعكس صحيح. (28)

من أين يولد العنف؟ التساؤل الذي أشار إليه احميدة عياشي في مؤلفه: " الحركات الإسلامية في الجزائر " مضيفا إليه: كيف اكتسحت هذه الظاهرة أدبيات النشر السياسي و الشارع العربي خلال عقد السبعينات؟ وكيف أصبح الشغل الشاغل بالنسبة لجزائر التعددية، و أضحت ورقة غير واضحة الهوية في الصراع بين الجناح الإسلامي الثوري و التيارات السياسية و الحزبية الأخرى؟

في دراسة له بمجلة المستقبل العربي عدد 140 بتاريخ أكتوبر 1990م، حول العنف السياسي في الحياة السياسية العربية المعاصرة يلاحظ رئيس قسم البرامج السياسية في إذاعة الإسكندرية السيد محمد سعد أبو عامود أن عقد السبعينات

والثمانينيات عرف اتساعا جليا لدوائر العنف في مجتمعات الدول العربية بشكل عام و في واقع الممارسة السياسية العربية بشكل خاص، فعدد كبير من الأقطار العربية خلال هذين العقدين عرف أحداث عنف سياسية اتسمت بمشاركة عريضة من الجماهير التي تبنت أسلوب استعمال القوة أو التلميح باستخدامها قصد نيل بعض المكاسب ذات الطابع الإقتصادي الإجتماعي بصورة خاصة(29)

منذ 1992، اجتاح الإرهاب الجزائر، بدأ بهجمات بالقنابل ليتحول إلى مجازر جماعية... و الحال تبدوا الجزائر، بالمقارنة مع بلدان المغرب و المشرق الأخرى، كأنها حالة خاصة. فما جابه (ولم يجابه) أي بلد مسلم آخر مستوى عنيفا كهذا، كما لم تُفرض في أي مكان من البلدان الأخرى، العلاقات بين الدولة و الحراك الإسلامي إلى نزاع بمثل هذه الحدة. و السؤال المثار هو لمعرفة لماذا الجزائر؟

هذا " الإنعطاف " لأن جميع أولئك الذين يتساءلون عن الدوافع الخاصة بهذا "العنف المقدس" التي تهز أساسات مجتمعا، قد يجيبهم البعض بأن لا جديد تحت سماء الجزائر، و أن العنف قد وسم تاريخها على الدوام، و الحال، لن عليهم بذل أي مجهود للتقريب عن أشكال الرعب التي تجعل من كل تاريخ الجزائر سبيلا مديدا من النار و الدماء. (30)

### الخاتمة:

نستخلص من خلال هذه الدراسة مجموعة من النقاط التي ترتبط بالمجتمعات العربية من زاوية اجتماعية بحتة، والتي تمثل على وجه الخصوص علاقة الفرد بمجتمعه، تلك العلاقة التي يبحث فيها عن استقراره وأمنه السياسي والغذائي، فالحاجات الأساسية التي تصنع التفاعل الاجتماعي تركز على عنصرين أساسيين ذكرهم الله تعالى في قوله " الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف"، ومن هذا المنطلق ظهر المشروع البديل عن التنظيم المغلق لسياسة الدولة في تحقيق إقتصاد قوي، والمتمثل في الخط الإسلامي لترقية الشعوب، وأمام معادلة لتسوية التنظيم الذي عجز عليه النظام العام للمجتمع. فالإمتداد التاريخي لتطور الفكر الإسلامي في المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري، يصل إلى حد التلاصق والتلاحم بين التراجعات الإقتصادية، والفشل في التنمية على الصعيد الاجتماعي والثقافي والديني والسياسي... كمخلفات للتنظيم الإقتصادي، وبالتالي خلق عدم التوازن في تنظيم المجتمع، هذه العملية تعتبر محور عمل في التغيير الذي هدف إلى تحقيقه الحزب الإسلامي، الذي بدأ في الظهور نتيجة التغييرات الاجتماعية، توظيف التعددية من جهة والبحث عن مكانة سياسية بنهج إسلامي من جهة أخرى، فالفكر الإسلامي السياسي قديم، وتحيينه أمر استدعى معه المعارضة والمواجهة من طرف الإيديولوجيات السياسية الأخرى، كرد فعل على طغيان العولمة و ضغط الدول المتقدمة المسيطرة على العالم وخاصة العربي، وهذا ما خلق نوع من الصراع الذي وصل في غالبه إلى الأسلوب القتالي، وإستخدام العنف كميكانزمات دفاعية، وقد أنتج مشروع التنمية الإقتصادية الذي نهجه المجتمع الجزائري بعد الإستقلال، مجموعة من التوترات الدولية، لتضرب الجذور الأصلية لمعنى التطور، وذلك بإستخدام سياسة القروض، وبعدها الضغط على المجتمع ليقع في التبعية بنسبة عالية من المديونية، وتنامى الفكر الإسلامي نتيجة فشل الإيديولوجيات السياسية القائمة آنذاك، فطبيعة المجتمع الجزائري تتطلب نوعية خاصة في التعامل مع الأوضاع الاجتماعية للأفراد، مما زاد من تطور الفكر الإسلامي لهذا الغرض، الذي تمتد جذوره إلى تاريخ اجتماعي طويل للمجتمع الجزائري.

### قائمة المراجع:

1. الطاهر سعود، الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2012، ص: 101
2. جيل كيل، تر: نبيل سعد، جهاد... انتشار وانحصار الإسلام السياسي، دار العالم الثالث، القاهرة، ط2، 2002، ص: 21.
3. الطاهر سعود، مرجع سابق، ص: 104.
4. ميثاق الجماعة الإسلامية للدعوة والقتال، منبر التوحيد والجهاد: [http //www.tawhed.ws](http://www.tawhed.ws)

5. موالى سليمان ، الارهاب: إشكالية المعنى والقيم والنظم الجزائر حالة، رسالة ماجستير في علم الاجتماع السياسي، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص: 30.
6. محمد سلامة محمد غباري، الدفاع الاجتماعي في مواجهة الجريمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2006، ص: 34
7. سليمان موالى، مرجع سابق، ص: 31، 30.
8. ناجي سفير، تطورات الوضع السياسي في الجزائر في سياق التغيرات الجارية في العالم العربي، الربيع العربي ثورات الخلاص من الإستبداد، الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية، ط1، 2013، ص: 395.
9. احميدة عياشي، الحركة الإسلامية في الجزائر الجذور الرموز المسار، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1993، ص: 217.
10. عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب بحث أنثروبولوجي سوسولوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2013، ص: 109.
11. جون ل. إسبوزيتو، تر: قاسم عبده قاسم، الخطر الإسلامي خرافة أم حقيقة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص: 54
12. محمد سرور بن نايف زين العابدين، الحكم بغير ما أنزل الله و أهل الغلو، دار الأرقم، ط2، 1988، ص: 300.
13. محمد مزوز، مفهوم الدولة في الفكر العربي الإسلامي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص: 13، 14، 15.
14. فضيلة جنوحات، إشكالية الديون الخارجية وآثارها على التنمية الإقتصادية في الدول العربية حالة بعض الدول المدينة، أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة دكتوراه في العلوم الإقتصادية، جامعة الجزائر، 2006/2005. ص: 37.
15. غالي شكري، أقتعة الإرهاب البحث عن علمانية جديدة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، ص: 15.
16. عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، الإرهاب التشخيص والحلول، مكتبة العبيكات للأبحاث والتطوير، الرياض، ط1، 2007، ص: 16.
17. محمد مزوز، مرجع سابق، ص: 09.
18. برهان غليون، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص: 129.
19. غالي شاكور، أقتعة الإرهاب البحث عن علمانية جديدة، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1990، ص: 34.
20. فضيلة جنوحات، مرجع سابق، ص: 60.
21. كميل الطويل، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر من الإنقاذ... إلى الجماعة، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 1998، ص: 10.
22. كناي مخفي، مرجع سابق، ص: 72.
23. ناجي سفير، مرجع سابق، ص: 394.
24. برياش رتيبة، الأمن والإرهاب في المغرب العربي مقارنة إستراتيجية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 03، 2012، ص: 130.
25. أحمد يوسف النل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، دار المكتبة الوطنية، عمان، ط1، 1998، ص: 211، 212.
26. لياس بوكراع، تر: خليل أحمد خليل، الجزائر الرعب المقدس، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2003، ص: 37
27. المنصف وناس، الدولة الوطنية المجتمع المدني في الجزائر، محاولة قراءة انتفاضة تشرين الأول/ أكتوبر 1988، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ط2، ص: 241، 242.
28. برياش رتيبة، مرجع سابق، ص: 34.
29. احميدة عياشي، مرجع سابق، ص: 79.
30. لياس بوكراع، مرجع سابق، ص: 37، 38.